مقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، والصلاة على رسول اللّه ﷺ وبعد :

فهذه طبعة جديدة من كتاب طبقات الأمم للقاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ، وهو من خيرة ما ألف فى اللغة العربية من كتب التاريخ ، وأعسرها على القراءة والفهم والتحقيق . وقد سبق بنشر هذا الكتاب العالم الألمانى سوتر مع ترجمته إلى الألمانية ، ثم نشره بعد ذلك ريجى بلاشير ، وكلتا الطبعتين ممتازة ومزينة بترجمة جيدة إلى الألمانية والفرنسية .

والكتاب بهذا أخذ صورة عالمية ، وهو بالفعل كتاب عالمى ، وقد طبع هذا الكتاب طبعة عربية لا بأس بها ، وقد قام بطبعه على محمد أبو طالب فى القاهرة دون أن يذكر التاريخ ، ولم يقدم أحد من العرب بعد ذلك على نشر الكتاب نظرًا لصعوبة النص وكثرة أسماء الأعلام فيه ، والكتاب غنى جدًّا كما سيرى القارئ ، وقد رأيت أنه من الضرورى أن تكون له طبعة عربية محققة وقائمة على أصول ، وهذه هى الطبعة المحققة التى قمت بها ، وأرجو أن أكون قد أحسنت فيها .

وقد سبق أن قدم كل من ناشرى الكتاب إلى الألمانية وإلى الفرنسية بكتابة مقدمة ممتازة ، ولهذا فأنا لن أكلف نفسى بالتقديم الطويل لهذه الطبعة التى أودعها الآن بين يدى القراء العرب ، خاصة وأن الجهد الذى بذلته فى تحقيقها كبير جدًّا ، وقد كان لابد أن يقوم به واحد من علمائنا العرب ، ولكن أحدًا من علماء العرب لم يقم به ، فوجدت نفسى سعيدًا بهذا النشر ، وسأنقل عن المقدمتين الألمانية والفرنسية ما تمس إليه الحاجة فهما ممتازتان ، وإن كان الناشر الألمانى لم يكلف نفسه الجهد فى كتابة مقدمة مطولة ، ويكفيه فخرًا أنه كان أول من أقدم على نشر هذا الكتاب وتكلف جهدًا كبيرًا فى ذلك ، وأنا أعتقد أنه قدم بذلك خدمة كبرى للفكر العربى ، وتحقيقه ممتاز ولابد أنه أنفق فيه جهدًا كبيرًا ، وأما ريجى بلاشير فقد بذل جهدًا كبيرًا فى تحقيق النشر ، وقدم لتحقيقه ونشره وترجمته الفرنسية ، بمقدمة ممتازة وكذلك ترجمته الفرنسية ، وقد استفدت كثيرًا من العملين فى تحقيق النص ، وكتابة هذه الدراسة الموجزة التى أنشأتها لتكون مقدمة للعمل الذى قمت به ، وهو عمل ليس باليسير ، فإن الكتاب صغير الحجم فعلا ،

ولكنه صعب ومشاكله كثيرة ، وسيرى القارئ بنفسه صعوبة ذلك الكتاب عندما يقرأ النص .

والكتاب تاريخ علمى للبشرية ، وقد قسم الرجل البشر إلى قسمين رئيسيين : الشعوب التى عنيت بالعلوم ، والشعوب التى لم تعن بها ، وإن كان هو نفسه لم يقسم الشعوب إلى قسمين ، قسم عنى بالعلوم وقسم لم يعن بها ، ولكنه هو نفسه يقول : إن الأمم تنقسم على أساس الأخلاق والصور واللغات ، فكأنه لم يقسم الشعوب على أساس الاشتغال بالعلم وعدم الاشتغال به ، بل على أساس الأخلاق والصور واللغات ، ولكنه فى كلامه يتحدث عن اشتغال الشعوب بالعلوم ، ولا ندرى ماذا أراد بقوله : إن الشعوب تنقسم على أساس الأخلاق والصور واللغات ، هل أراد تقسيم الشعوب على أساس اجتماعى هو الأخلاق والصور واللغات ، فلما دخل فى الكلام على الأمم لم يقسمها على الأساس الاجتماعى بل العلمى ، فالأمم التى يتحدث عنها هى :

الفرس والكلدانيون : (وهم السريانيون والبابليون ، وهم فى رأيه الكوفيون والأشوريون) .

والأشوريون والأرمانيون : (وهم الأرمن والجرامقة) وهم عنده أهل الموصل والنبط ، وهم أهل سواد العراق .

والأمة الثالثة عنده : هم اليونانيون والروم والإفرنجة والبرجان والصقالبة والروس والبرغز واللان ، وغيرهم من الأمم التى حول بحر بنطش (البحر الأسود) وبحيرة مانيطش وهى بحيرة آرال (بحر قزوين) .

وأما الأمة الرابعة : فهم عنده القبط أى أهل مصر وأهل البلاد جنوبها وهم النوبة والسودان والحبشة والزنج وغيرهم من أهل أفريقية ، والمغرب وهم البرابر ومن اتصل بهم حتى المحيط الأوقيانوسى .

وأما الأمة الخامسة : فهم عنده أجناس الترك .

والأمة السادسة : هى الهند والسند ومن اتصل بهم .

والأمة السابعة : هى الصين ومن اتصل بهم من سكان بلاد عامور بن يافث بن نوح عليه السلام .

وفى الباب الثانى ، نجد أن صاعدًا يتحدث عن تقسيم الأمم إلى شعوب اشتغلت بالعلم وأشعوب لم تشتغل به ، وهذا هو الأساس الذى سيكون عليه الكلام فى الكتاب ، وأما الأمم التى عنيت بالعلوم فثمانية أمم : الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب . ثم يخصص الباب الثالث للأمم التى لم تعن بالعلوم وهم عنده الصين والترك ، وحديثه عن هؤلاء طويل ، فهم فى رأيه لم يشتغلوا بالعلم ، ولكن لهم فضائل كبرى يذكرها صاعد بالتفصيل فى مواضعها من كتابه . وليس من السهل تلخيص هذا الكتاب فى تلك المقدمة ، ومن غير الممكن تلخيصه ، وخير ما نعمله هو تحقيق النص العربى لهذا الكتاب ، والاستعانة بطبعة الناشر الألمانى والمترجم الفرنسى . وقد عنى كل منهما بالتعليق على النص والترجمة ، وسأجتهد فى ذلك قدر المستطاع ، وسيرى القارئ أننى أفدت منهما خير فائدة ، وإن كنت أرى أن خير ما يفعله القارئ للإفادة من ذلك النص القيم هو تحقيقه وتفسير النص قدر المستطاع .

وقد قمت بهذا وتكلفت فيه جهدًا كبيرًا ، واستطعت آخر الأمر أن أحقق هذا النص وأن أضعه بين يدى القارئ فى صورة كاملة ، واجتهدت فى التعليق على النص دون إسراف فى ذلك ، ولن أطيل فى هذه المقدمة لأن النص نفسه بيد القارئ وفيه تعليقات وافية ، وأرجو أن لا أكون قد أسرفت فيها ، ولكن القارئ سيرى أنه أمام نص قيم عظيم الفائدة ، وهو مفخرة من مفاخر الفكر العربى ، وأنا أقف بالتقديم للكتاب هنا ، وأنا أعتقد أن المفكرين والعلماء العرب سيرحبون بهذا العمل ويبدءون بإنشاء الدراسات على أساسه .

وتحية من القلب لذلك العلامة العظيم أبى القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الأندلسى أو القاضى صاعد ولكل السادة الذين عنوا بهذا العمل قبلى وخاصة هنرى سوتر الألمانى وهو أول من حقق الكتاب وريجى بلاشير الذى حقق الكتاب وترجمه إلى الفرنسية سنة ١٩٣٥ والسلام .

القاهرة / أغسطس ١٩٩٣

دكتور حسين مؤنس